بشائر النصر والتمكين
فى
كتاب رب العالمين

أبو حفص
عمر بن عبد العزيز قريشى
الأستاذ المساعد بكلية الدعوة الإسلامية
جامعة الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

إن الحمد لله، نحمده ونستعـينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعـمالنا، إنه من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَـا النَّاسُ اتَّقُـوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِـدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

أما بعد...

فإن أصـدق الحديث كتاب الله وخـير الهدى هدى محـمد ﷺ، وشر الأمور مـحدثاتها، فكل محـدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

إخوة الإسلام: ألتقى مع حضراتكم هذه المرة من خلال تلك الصفحات حول «بشائر النصر والتمكين، فى كتاب رب العالمين».

ولست أول من تكلم فى هذه البشائر، فقد تكلم عنها مفسرون عند تفسيرهم الآيات، ومحدثون عند ذكرهم هذه الأحاديث، وجمعها آخرون فى بعض الكتيبات ربما لا يزيد على بضع من البشارات ولكن الذى يلفت النظر فى هذه المرة أنه لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن إلا وهى تحمل بشارة تصريحًا أو تلميحًا، فإما بشارة بنصر المؤمنين، أو تمكينًا للمستضعفين، أو ظهورًا لهذا الدين، أو جعل العاقبة للمتقين، وبشارات أخرى تحمل معنى الدفاع عن المؤمنين، وكتابة العزة لهم والأمن والرزق والتيسير والسعادة والنجاح والفلاح.

وبشارات أخرى - بمفهوم المخالفة - تؤكد هزيمة الكفر والكافرين، ونهاية الظلم والظالمين، وبطلان أعمال الكافرين، وبيان عاقبة مكر الماكرين، ثم إنذارات تابعة، تحمل دروسًا من السابقين، تبين خسران الكافرين وتهديدات الله للظالمين وبيان مصارع الطغاة والظالمين، ونحو هذا، وقد جمعت هذه البشارات من كتاب الله تعالى مباشرة، وأنا أتلوه بتدبر، حتى وقفت على

هذا الكم الهـائل من البشـارات، والعـدد الكبيـر من الآيات، فضلاً عـما أشار إليه القرآن من مقـارنات بين صفات جند الله المؤمنين، وذكر عدة المقاتل ومـؤهلات القتال، وبين صفات من نقاتل من أعداء الله، وبيان نفسيتهم، وحقيقتهم، ونهاية أمرهم.

فيمـا يقارب المائتى آية من كتاب الله تعـالى، على نحو ما ستراه فى هذا الكتاب هذا فـضلاً عن البشارات التى وردت فى سنة النبى ﷺ، والتى سنستأنس بذكرها مع الـبشارات القرآنية العظيمة.

أخا الإسلام: ويجب أن تعلم أن ذكر هذه البشارات، ليست مجـرد دفع اليأس الذى تملك بعض المسلـمين، أو هى رد فعل أمـام الهـزائم المتـوالية التى أصـابت الأمـة المسلمـة؛ أقليـات وأكثريات، كما أنها ليست توهمات أو خيالات.

كما أنها ليست من جنس مـا عند اليهود ـ مثلاً ـ من أمانى وأوهام، ووعود مفتراة وأحلام، حتى وإن حاولوا التخطيط لها بإحكام، وإيجاد بعضها على رغم أنوف الأنام، كلا، فبشاراتنا من كـلام الله لا من أوهام البشـر ﴿ ...**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**﴾[1] وهى من قـــول الله، لا من مـخططات حـكمـاء

صهيون ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾[2] إنها وعد الله الذى لا يتخلف ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[3] وصدق الله ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾[4] وما الذى يمنع من ذلك ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾[5] ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾[6]؟ لا أحد. هذا وكم وددت أن أذكر هذه البشارات حسب ترتيب سور القرآن، ليتجلى أمام القارئ أن كل سورة من سور القرآن، تحمل بشارة بصورة أو بأخرى ولكنى عدلت عن هذا لتبويب البشارات تبويبًا موضوعيًا، مع ملاحظة الإيجاز وسرد الآيات فى كثير من الأحيان بدون تفسيرها أو الإشارة إلى معانيها، لأنى قصدت هذا لإخراجه فى هذا الكتيب المختصر، وإلا لو استطردت فى بيان ذلك، فهذا يحتاج إلى مجلدات، والله من وراء القصد، ونسأل الله عموم النفع، وإلى البشارات.

عمر بن عبد العزيز

---

(1) سورة النساء: 87.
(2) سورة النساء: 122.
(3) سورة آل عمران: 9.
(4) سورة الذاريات: 5.
(5) سورة غافر: 77.
(6) سورة التوبة: 111.

أولاً: بشارات المؤمنين

حمل القرآن الكريم فى آياته وسوره بشارات بالنصر والتمكين، ويلحظ القارئ أنها انحصرت فى المؤمنين، سواء أكانت بشارة بالنصر أم بالعزة، أم بالرزق والأمن، أم بالتمكين، وبغير ذلك، ولم ترد كلمة البشرى للمسلمين إلا فى آية واحدة كصفة من صفات القرآن الكريم ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

وليست هذه الآية فى المعنى الذى نقصده أو نشير إليه، فإذا رأيت هذه البشارات قد تخلفت عنا، أو لا وجود لها فى واقع الأمة الإسلامية إلا فى القليل النادر، فليس هذا معناه أن وعد الله تخلف، أو أن القرآن حُرِّف، أو أن يقع فى نفسك شك، وإنما يجب أن تعلم يقينًا أن صفة الإيمان لم تحقق، التى هى كشرط أساسى فى تحقيق تلك البشارات، وإن تحققت فينا صفة الإسلام التى لم تؤهلنا لتحقيق هذه البشارات، وإن كانت هى فى ذاتها نعمة عظيمة، وكفى بها نعمة، وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ..﴾[2] كما قال: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ

(١) سورة النحل: ٨٩. (٢) سورة الزمر: ٢٢.

للإسلام وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]
لكن هذه النعمة لا تكون مجرد انتساب أو تسمية، دون فهم أو حقيقة، وذلك هو الذى يصل بنا إلى حقيقة الإيمان، الذى ارتبطت به هذه البشارات، ولذلك إذا نظرت فى واقع المسلمين، تجد النصر وقد ارتفع عنهم، فإذا حققوا الإيمان فى بعض المعانى، أو بعض الوقت بحسن التوكل على الله، واللجوء إليه بالضراعة والدعاء والبكاء، والاعتراف بالتقصير مثلاً، فإنك لا شك سترى أثر ذلك، يتحقق النصر مع تحقق هذه المعانى الإيمانية، وبزوالها يزول النصر، وأنا لا أطلب منك إلا أن تنظر إلى الوقائع نظرة ثاقبة، تقرأ فيها ما بين السطور، من خلال معانى إيمانية، لا من خلال صحف يومية أو نشرات إذاعية، ولا تذهب بعيدًا، وطبق ذلك على مسلمى أفغانستان، والبوسنة والهرسك، والشيشان.

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٥.

١ ـ البشارة بالنصر

قال تعالى: ﴿ .. وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾(١).

والإسلام هو دين الله، والنصر من عند الله، فكتب الله نصره لدينه، ولكن المِنْحَة تاتى بعد المِحْنة، كما أن النصر يأتى مع الصبر، والفرج مع الكرب، وكما فى الحديث «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا**»(٢).

لذلك قال الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾(٣).

فهذه بشارة بقرب نصر الله فى كل جيل، وأكد الله هذا المعنى فى قوله سبحانه: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران: ١٢٦.
(٢) رواه البخارى.
(٣) سورة البقرة: ٢١٤.
(٤) سورة الصف: ١٣.

بل إن الأمر ازداد وضوحًا في قوله تعالى: ﴿ **لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[1] وازداد الأمر توكيدًا، لما أوجب الله تعالى هذا الحق لأهل الإيمان، فقال ربنا الرحمن: ﴿ ..**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[2] وبقوله سبحانه وهو يربط بين نصرة رسله ونصرة المؤمنين في آن واحد، في أكثر من آية مثل قوله جل وعلا ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** ﴾[3] وقوله ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾[4].

ولكن لمن هذا النصر؟ لمن قال الله عنهم: ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾[5] وستأتيك إن شاء الله صفاتهم بعد. ومتى هذا النصر؟ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾[6] أي إن تنصروا دين الله، فإن الله ناصر

(١) سورة الروم: ٤ ـ ٦
(٢) سورة الروم: ٤٧.
(٣) سورة غافر: ٥١.
(٤) سورة المجادلة: ٢١.
(٥) سورة الصافات: ١٧١ـ١٧٣.
(٦) سورة محمد: ٧.

من ينصر دينه، فاللهم انصر من نصر دينك، وهذا النصر لا يحتاج إلى تعجل، بل الأمر كما قال الله ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[1].

وإذا جاء نصر الله تعالى، فلا تسل كيف يكون ذلك؟ ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ..﴾[2] وكذا قال: ﴿..كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3] وكما أن الله تعالى نصر رسوله بلا أسباب ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[4] فهو سبحانه وتعالى قادر على نصرة دينه بلا أسباب، وما لم يكن بالسنن الكونية كان بالسنن الخارقة، وكما أشار إلى ذلك بقوله ﴿..وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[5] فإن سألت عن صفاتهم

---

(١) سورة يوسف: ١١٠.
(٢) سورة آل عمران: ١٦٠.
(٣) سورة البقرة: ٢٤٩.
(٤) سورة التوبة: ٤٠.
(٥) سورة محمد: ٣٨.

أجابك القرآن بقول الرحمن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

هذا ونصر الله تعالى لهذا الدين كما تحقق فى أوله، إذ قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[2] فهو يتحقق فى نهايته، بوعد الله بنصرة المظلوم، وكم ظلمت هذه الأمة المنكوبة، إذ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[3] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ

---

(١) سورة المائدة: ٥٤.
(٢) سورة النصر.
(٣) سورة الحج: ٦٠.

فيها اسمُ اللَّهِ كثيراً ولَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1] .

ولما نزلت آخر سورة البقرة، وفيها ﴿ ..رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا ولا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا ولا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا به واعْفُ عَنَّا واغْفِرْ لَنَا وارْحَمْنَا أنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[2] قال الله تعالى: قد فعلت، كما فى صحيح مسلم.

* * *

(١) سورة الحج: ٣٨-٤٠ .   (٢) سورة البقرة: ٢٨٦ .

٢ ـ البشارة بالتمكين

وكما بشرنا الله تعالى بالنصر، فقد وعدنا سبحانه وتعالى بالتمكين، وجعل ذلك وعدًا قائمًا لكل أتباع الرسل الصالحين.

فأنت تقرأ في كتاب الله تعالى: ﴿ **قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾[١] كما قال أيضًا: ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ** ﴾[٢].

وقال سبحانه وتعالى كذلك: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾[٣] والحقيقة أن سنة الله تعالى في بني إسرائيل

---

(١) سورة الأعراف: ١٢٨، ١٢٩. (٢) سورة الأعراف: ١٣٧.

(٣) سورة القصص: ٥، ٦.

هى سنة ثابتة فى كل أتباع الرسل ﴿ ..فلن تجد لسنت الله تبديلاً ولن تجد لسنت الله تحويلاً ﴾[1] .

ومع ذلك فقد خص الله تبارك وتعالى هذه الأمة الخاتمة بوعود بالتمكين لا تتخلف، فقال عز من قائل: ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون (١٠٥) إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين (١٠٦) وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[2] ولقد حقق الله لهذه الأمة هذا الوعد فى البداية ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾[3] وهو وعد قائم لهذه الأمة فى كل الأجيال، كما حققه الله تعالى لمحمد ﷺ وأصحابه، فهو قائم بشرطه لكل من يأتى بعده، حتى يأتىَ أمر الله.

قال تعالى: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك

(١) سورة فاطر: ٤٣.
(٢) سورة الأنبياء: ١٠٥-١٠٧.
(٣) سورة الأنفال: ٢٦.

هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(1).

إنه وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات فى كل زمان ومكان، مشروط بشرطه «يعبدوننى لا يشركون بى شيئًا» فمتى تحقق هذا الشرط، وأخلصت الأمة العبادة لله **﴿.. فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ..﴾**(2) وحققت التوحيد الخالص الذى أجمله الله في قوله **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾**(3) وابتعدت الأمة عن الشرك كبيره وصغيره، وامتثلت قول الله تعالى: **﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾**(4) وقوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾**(5) وامتثلت تلك الوصية الجامعة **﴿.. وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ..﴾**(6) وحققنا ما ورد فى حديث النبى ﷺ «لن تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيختبئ اليهود خلف الشجر والحجر، فينطق الله الحجر

(1) سورة النور: ٥٥.
(2) سورة الزمر: ٢، ٣.
(3) سورة الإخلاص.
(4) سورة الكهف: ١١٠.
(5) سورة الزمر: ٦٥، ٦٦.
(6) سورة النساء: ١٣١.

والشجر يقول يا مسلم يا عبد الله تعال ورائى يهودى فاقتله»[1]

أرأيت: «يا مسلم، يا عبدالله»، إنه تحقيق معنى الإسلام، ومعنى العبودية لله تعالى، كما ينبغى أن تكون، ساعتها يتحقق وعد الله، بلا تخلف ولا تأنى.

ولم لا، والأمر كله بيد الله، والملك ملك الله ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وقد شاء سبحانه وتعالى أن يؤتى الملك لعباده المؤمنين ﴿.. أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ..﴾[3] وأن ينزعها من الكافرين ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾[4].

كما شاء سبحانه أن يجعل العزة بيده ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا..﴾[5] ثم يهب ذلك لمن ﴿.. وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) سورة آل عمران: ٢٦.

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٥.

(٤) سورة الدخان: ٢٥-٢٨.

(٥) سورة فاطر: ١٠.

ولرسُوله وللْمُؤْمنين ولَكنَّ الْمُنَافقينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[1] وأن يجعل الذل والصغار على الكافرين ﴿ .. وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ والْمسْكَنَةُ وبَاءُوا بِغضَبٍ مِّنَ اللَّهِ .. ﴾[2] فالأمر كله بيد الله وحده.

* * *

(١) سورة المنافقون: ٨.
(٢) سورة البقرة: ٦١.

٣ ـ البشارة بظهورة هذا الدين

هذا الدين هو صراط الله المستقيم الذى دعانا إليه، وأمرنا أن ندعوه للهـداية له فقال: ﴿ .. اهْدنا الصِّراطَ الْمُسْتَقيم (٦) صِـراطَ الَّذينَ أَنْعَـمْتَ عَلَيْـهِـمْ غَيْـرِ الْمَـغْـضُـوب عَلَيْـهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾[١] والذين أنعم عليهم هم ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّه والرَّسُول فَـأُوْلَئكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْـهِـم مِّنَ النَّبِـيِّين والصِّـدِّيقين وَالشُّهَدَاء وَالصَّالحين وحَسُنَ أُوْلَئك رفيقًا (٦٩) ذَلك الْفَضْلُ من اللَّه وَكَفَىٰ باللَّه عَليمًا ﴾[٢] وأما المغضـوب عليهم والضالون، فكما قال ﷺ: «المغضـوب عليهم هم اليهـود، والضالون هم النصارى»[٣] وهذا الصراط أمرنا الله بالتـزامه فى قوله ﴿ وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٤] وقد قـال النبى ﷺ فى ذلك «ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا وعلى جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى

---

(١) سورة الفاتحة: ٦، ٧.　　(٢) سورة النساء: ٦٩، ٧٠

(٣) رواه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجة وصححه الحاكم والطبرانى

(٤) سورة الأنعام ١٥٣

باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله والداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم»[1].

وفى الحديث أيضًا: أن النبى ﷺ خط خطًا بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيمًا، قال: ثم خط عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ «﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾»[2].

وهذا الدين نالته سهام كثيرة، واعترته ضربات متوالية، تريد أن تقضى عليه، وأن تطفئ نوره، ولو لم يكن دين الله لانطفأ

---

(١) رواه الإمام أحمد وابن أبى حاتم وابن جرير والنسائى والترمذى بسند صحيح.

(٢) رواه أحمد وقال الشيخ شاكر: اسناده صحيح - ورواه الحاكم فى المستدرك وصححه. ووافقه الذهبى، ورواه النسائى كذلك.

نوره منذ أمد، ولمات منذ حين، ولكن أنّى لهم ذلك، وقد وعد الله بظهور هذا النور وتمامه، فقال سبحانه في غير موضع ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[1] ومن ذلك في سورة الصف تقريبًا ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[2] وفي سورة الفتح ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾[3] بل أراد الله له التمام والكمال، فقال: ﴿ ..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا.. ﴾[4].

فهو الدين الذى ارتضاه، ولم يرتض دينًا غيره، فلا بديل عنه ولا مبتغى سواه ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ

---

(١) سورة التوبة: ٣٢، ٣٣. (٢) سورة الصف: ٨، ٩.

(٣) سورة الفتح: ٢٨. (٤) سورة المائدة: ٣.

وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾[1] ومن عظمة هذا الدين، ودلالة ظهوره أن الله تعالى منَّ عليه - وعلينا - برسول حفظه من أعدائه ﴿ يا أيُّها الرَّسُولُ بلِّغْ ما أُنزل إليْكَ من ربِّك وإن لَّمْ تفعلْ فما بلَّغت رسالتهُ واللَّهُ يعْصمُكَ منَ النَّاس إنَّ اللَّهَ لا يهْدي القوْم الْكافرين ﴾[2].

وكفاه شرهم ﴿ إنَّا كفيْناك الْمُسْتهْزئين (٩٥) الَّذين يجْعلُون مع الله إلهًا آخر فسوْف يعْلمُون ﴾[3].

ولم يستطيعوا تكذيبه ﴿ ..فإنَّهُمْ لا يُكذِّبُونك ولكنَّ الظَّالمين بآيات الله يجْحدُون ﴾[4] وعرفوه حق المعرفة ﴿ الَّذين آتيْناهُمُ الْكتاب يعْرفُونهُ كما يعْرفُون أبْناءهُمْ وإنَّ فريقًا منْهُمْ ليكْتُمُون الْحقَّ وهُمْ يعْلمُون (١٤٦) الْحقُّ من ربِّك فلا تكُونن من الْمُمْترين ﴾[5].

ومن الدلالة على ظهور هذا الدين أيضًا ما امتن الله به علينا - وعلى العالمين - بهذا الكتاب المبين، الذى تحدى الله به

---

(١) سورة آل عمران: ٨٥.
(٢) سورة المائدة: ٦٧.
(٣) سورة الحجر: ٩٥، ٩٦.
(٤) سورة الأنعام: ٣٣.
(٥) سورة البقرة: ١٤٦، ١٤٧.

العالمين، وأعجز الثقلين أجمعين، فقال سبحانه: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(١) ثم قال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٢) ثم قال: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾(٣) فمن الذى يستطيع على مدى القرون، والدهور، والأزمنة والأمكنة، أن يبطل لنا مفعول هذه الكلمة «ولن تفعلوا» ولذلك فهذا القرآن سيظهر حتمًا ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾(٤).

وكذلك ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) سورة الإسراء: ٨٨.
(٢) سورة هود: ١٣، ١٤.
(٣) سورة البقرة: ٢٣، ٢٤.
(٤) سورة الأنفال: ٧.

شهيدٌ ﴾[1] وفسر فى هذه الآية ما شئت من وجوه إعجاز القرآن البلاغى والعلمى والطبى والفكرى وغير ذلك. فما علينا إلا أن نتدبر القرآن، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾[2] فهل وجدوا ذلك؟.

وكما قال: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[3]؟ نعوذ بالله من ذلك.وكذا قال سبحانه ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[4] هذا القرآن محفوظ بحفظ الله له ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[5] فهل استطاعت يد أن تعبث بكتاب الله، أو تغير فيه آية أو كلمة أو حرفا أو حركة، على الرغم من كثرة الجهود فى ذلك، وشراسة الأعداء مع ذلك، لقد أراده الله تعالى ذكرا وشرفا ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾[6] بل هو أكبر من ذلك ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ

(١) سورة فصلت: ٥٣.
(٢) سورة النساء: ٨٢.
(٣) سورة محمد: ٢٤.
(٤) سورة ص: ٢٩.
(٥) سورة الحجر: ٩.
(٦) سورة الزخرف: ٤٤.

حين﴾[1] عَظُمَ قـدره، وارتفع شـأنه فـأنزلـه الله فى ليلة لهـا قدرها وشأنها.

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾[2]

فـدينٌ.. النبى محـمد ﷺ رسـوله، والقـرآن العظيم كتـابه، لاشك أنه كائن وأنه حق واقع، وأنه حـقيقة مـسلمة، ولاشك أنه سيظهر وينتصر وينتشر ويدخل الناس فى هذا الدين أفواجا، وقد قال النبى ﷺ: **«ليبلغنَّ هذا الأمر** - أى الإسـلام - **مـا بلغ الليل والنهار، ولا يتـرك الله بيت مدر ولا وبر** - طين أو صوف - **إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيـز أو بذل ذليل، عزا يعز الله مع الإسـلام وأهله، وذلا يذل الله به الـكفـر وأهله»**[3] وكذا قـال الصادق المعصوم ﷺ: **«إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتى سيبلغ مازوى لى منها»**[4].

---

(١) سورة ص: ٨٧، ٨٨. (٢) سورة القدر.

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه والطبرانى وأحمد، وصححه الألبانى.

(٤) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه.

فـاللهم اجـعلنا جنودًا أوفـيـاء لنصـرة دينك، ونشـره فى الأرض، ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

* * *

(١) سورة الممتحنة: ٥.

٤ ـ لمن تكون العاقبة؟

﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[(١)].

كما قال الله تعالى فى أكثر من آية.

وقال: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[(٢)].

وقال جل وعلا: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾[(٣)].

وقال عـز وجل: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾[(٤)].

ويتصل هذا الميراث الدنيوى بالميراث الأخروى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[(٥)].

---

(١) سورة القصص: ٨٣.
(٢) سورة الرعد: ٤٣.
(٣) سورة القصص: ٣٧.
(٤) سورة القصص: ٥٨.
(٥) سورة القصص: ٨٣.

وقد ضرب الله تعالى لنا الأمثال فى القرآن الكريم.

وها هم اليهود يظنون أن العاقبة لهم، ويحلمون بتحقيق أحلامهم، ويتمنون إقامة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، وإقامة مملكة داود، وحكم العالم كله، فهل سيتحقق هذا لهم؟ **أنى لهم؟!**

وقد بين ربنا سبحانه وتعالى عاقبة الأمور، يقص علينا لمحة من لمحات الغيب، فقال عز من قائل: **﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾**[1].

---

(١) سورة الإسراء: ٤ـ ٨.

ولا أريد أن استطرد فى تفسير هذه الآيات وبيان أن وقوع الفساد على أشده من بنى إسرائيل مرتين، وتحقق الوعدين كذلك إنما يكونا فى هذه الأمة، وليس من قبل، حتى ولو وقع من قبل فإن ذلك لا يمنع من وقوعه فى هذه الأمة **«وإن عدتم عدنا»**[1] والشاهد فى الآيات هو أنه كما تحقق الوعد الأول على يد أصحاب النبى محمد ﷺ بدءا بغزوة بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة، وإجلاء اليهود عن المدينة، وحريرة العرب، وحتى تم فتح المسجد الأقصى على يد فاروق الأمه «عمر بن الخطاب».

وقد بقى تحقق الوعد الآخر، مرتبطا باسترداد المسجد الأقصى مرة أخرى، وزوال دولة بنى إسرائيل **﴿فإذا جاء وَعْدُ الآخرَة ليَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَليَدْخُلُوا الْمَسْجد كَما دخَلُوهُ أوَّل مَرَّةٍ وَليُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبيراً﴾**.

فالعاقبة لأهل الإيمان، وليست لأهل الكفران، ولأهل التقوى وليست لأهل الإجرام، ومما يدلك على أن العاقبة لأهل هذا الدين، القائمين به، قوله ﷺ: **«تكون فيكم النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة**

(١) راجع تفسير الآيات بتوسع فى كتابنا «تعصب اليهود».

على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضًا "ورثيًا". وفي رواية: عضوضا، يعني: فيه عض وظلم ـ **فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبريا** ـ ملك فيه قهر وجبروت ـ **فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»**[1].

وقد تحقق جل ما أخبر به النبي ﷺ في الحديث من الخلافة الراشدة، والملك العضوض، والملك الجبري، وبقيت الخلافة المنشودة الموعود بها، وهي الخلافة على منهاج النبوة، التي لم تتحقق بعد، ولابد أن تتحقق إن شاء الله ـ تحقيقًا لا تعليقا، ولكن يجب أن نعمل لتحقيقها وإيجادها، وإنما توجد وفقا لسنن الله بعمل العاملين، وجهود المؤمنين.

وقد قال ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم**

---

(١) رواه أحمد، والبزار بأتم منه، والطبراني ببعضه، في الأوسط من حديث حذيفة بن اليمان، قال في مجمع الزوائد: ورجاله ثقات، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة.

ظاهرون للناس»[1].

وقوله ﷺ: **«لن يبرح هذا الدين قائما تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»**[2].

وقال ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال»**[3].

ويقول ﷺ: **«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»**[4].

وقال ﷺ: **«لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم؛ لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا منى، يملأ الأرض عدلا، كما ملئت ظلما وجورا»**[5].

فالخلافة آتية على يد واحد منهما، إما المجدد لهذا الدين، وإما الخليفة المهدى، أو هما معا فى آن واحد.

---

(١) رواه البخارى وأحمد.　　(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه أبو داود، والحاكم وصححه، وأحمد، والبيهقى، وقال العراقى وغيره: سنده صحيح. ورمز له السيوطى بالصحة فى الجامع الصغير

(٥) رواه أبو داود، والترمذى وقال: حسن صحيح.

٥ ـ بشارات أخرى، ووعود متنوعة:

وكما وعد الله تعالى المؤمنين بالنصر وبشرهم بذلك، وأمر بالتبشير به «وبشر المؤمنين» فإن الله سبحانه وتعالى وعدهم بألوان من الأسلحة، ليست لأحد إلا لأهل الإيمان، وهى ليست من قبيل أسلحة أهل الأرض، ولا يمتلكها أحد منهم، ومن ذلك:

أ ـ معية الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[1].

ومن كان الله معه، فمن عليه؟ إنه من كان الله معه فلن يزل ولن يضل.

وهذه المعية ترتبت عليها ولاية الله تعالى للمؤمنين ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ ﴾[2].

وكذلك ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[3].

(١) سورة النحل: ١٢٨.
(٢) سورة محمد: ١١.
(٣) سورة المائدة: ٥٥،٥٦.

ومن كان الله معه فإن الله كافيه وحسبه ومانعه من عدوه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

وهذه المعية هي التي تمنح التوفيق والسداد، وإصابة الهدف، كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾(٢).

وإنها لمعية يترتب عليها الهداية الربانية، والتوفيق الإلهي:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٣).

ب ـ ومن هذه الأسلحة ما هيأه الله تعالى للمؤمنين من الطمأنينة ونزول السكينة ومنها ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(٤) وكذلك ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ

(١) سورة الأنفال: ٦٤.
(٢) سورة الأنفال: ١٧.
(٣) سورة العنكبوت: ٦٩.
(٤) سورة الفتح: ٤.

بنان﴾[1] وفى الحـديث «نصرت بالرعب مسيرة شهر»[2] وأيضاء يهيئ لهم الأسباب، حتى الماء والتراب ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[3].

وتتنوع جنود الله تعالى لتكون فى نصرة المؤمنين ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[4].

جـ ـ وعد الله تعالى باستعلاء أهل الإيمان:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5] ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[6].

وكذلك ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[7].

---

(1) سورة الأنفال: ١٢.
(2) رواه البخارى.
(3) سورة الأنفال: ١١.
(4) سورة المدثر: ٣١.
(5) سورة آل عمران: ١٣٩.
(6) سورة محمد: ٣٥.
(7) سورة آل عمران: ١٢٠.

﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾(١).

د ـ وعد الله تعالى بالتيسير، حتى مع وجود التعسير:

﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾(٢) وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾(٣) **«ولن يغلب عسر يسرين»**، كما قال ﷺ(٤).

هـ ـ تحول ما في ظاهره الشر إلى خير في حق المؤمنين:

كما قال الله تعالى عن القتال ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٥).

وقال عن الابتلاء ﴿ .. لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾(٦).

وكما قال ﷺ: **«عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، ولا ينبغي ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له،**

---

(١) سورة النساء: ١٤١.
(٢) سورة الطلاق: ٧.
(٣) سورة الشرح: ٥، ٦.
(٤) رواه ابن جرير. مرسلاً.
(٥) سورة البقرة: ٢١٦.
(٦) سورة النور: ١١.

وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له»[1].

ويستمر العطاء. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[2].

و ـ كتب الله النصر لأهل الإيمان:

حتى مع وقوع الهـزيمة فى الظاهر، وإصابتهم بما يكرهون، فمنتصرهم يغنم، وجريحهم يثاب ويؤجر، وشهيدهم حيّ عند ربه يرزق،قـال الله تعـالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[3].

وكذا قال سبحانه: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

---

(١) رواه البخارى ومسلم.
(٢) سورة الضحى: ٥.
(٣) سورة التوبة: ٥٢.
(٤) سورة آل عمران: ١٦٩ـ١٧١.

ز - وعد الله تعالى بأمن أهل الإيمان:

كما قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[١].

فهذا هو الأمن الحقيقى ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢] وإنما يتحقق الأمن، وكذا الرزق والإطعام، مع عبادة الله الواحد الديان، قال تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[٣].

ح - وعد الله تعالى بالرزق والبركة لأهل الإيمان:

وقد ضرب الله تعالى على ذلك أمثلة فى القرآن مبينًا أنه مع الإيمان والتقوى يتحقق الأمن والإطعام، ومع الكفر والمعصية يقع الخوف، ويحل المحق أو الفقر.

---

(١) سورة الأنعام: ٨١، ٨٢.   (٢) سورة آل عمران: ١٧٥.
(٣) سورة قريش: ٣، ٤.

ومن ذلك قوله تعالى على مستوى الفرد ﴿ .. وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[1].

وعلى مستوى القرية ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[2].

وعلى المستوى العام ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[3].

ومن أسباب ذلك: الاستقامة ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾[4] والاستغفار ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً۝يرسل السماء عليكم مدراراً۝ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾[5] والدعاء

(١) سورة الطلاق: ٢، ٣.
(٢) سورة النحل: ١١٢.
(٣) سورة الأعراف: ٩٦.
(٤) سورة الجن: ١٦.
(٥) سورة نوح: ١٠-١٢.

﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[1] فهو سبحانه وتعالى الذى يستجيب لدعاء الداعين ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[2] والشكر على النعم ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[3] والصدقة ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[4] والأخذ بالأسباب: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[5] وكذلك ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ . . . ﴾[6] فما أعظم نعم الله تعالى وكما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾[7] وهذا لا يمنع من وقوع الفقر للمؤمنين ابتلاءًا وإمتحانًا، كما قال الله ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا . . . ﴾[8].

(١) سورة النمل: ٦٢.
(٢) سورة الشورى ٢٨
(٣) سورة إبراهيم: ٧.
(٤) سورة الحديد: ١١
(٥) سورة الملك: ١٥.
(٦) سورة الجمعة: ١٠.
(٧) سورة التكاثر: ٨.
(٨) سورة الفجر: ١٦، ١٧.

ط ـ ومن البشارات ما كتبه الله للمؤمنين من النجاة والفوز والفلاح:

فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[1] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] ونجاة من الخسران ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[3] ونجاة من التسفل ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾[4] بلى. وصلاح أعمال وغفران ذنوب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ

---

(١) سورة الأعراف: ١٦٤، ١٦٥. (٢) سورة يونس: ١٠٣.

(٣) سورة العصر. (٤) سورة التين: ٤ـ٨.

﴿ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[1] ووضوح المنهج واستبانة الحق ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[2].

ى ـ ويقع هذا للإنسان، جزاءًا بما كسب كما قال تعالى:

﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[3].

وكذا قال: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ ﴾[4].

وذلك الجزاء من الله تعالى ﴿ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾[5] ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾[6] وهو من جنسه ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾[7].

---

(١) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.
(٢) سورة الأنفال: ٢٩.
(٣) سورة الجاثية: ٢٢.
(٤) سورة النجم: ٣٩ـ٤١.
(٥) سورة النبأ: ٣٦.
(٦) سورة الرحمن: ٦٠.
(٧) سورة الليل: ٥ـ١١.

وفى النهاية ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[1].

ويظهر ذلك جليـا مع أخذ الصحف ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ۞ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾[2].

وعند ميزان الأعمال ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾[3] وكذلك ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[4] ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة الزلزلة: ٧، ٨

(٢) سورة الانشقاق: ٦ـ١٢.

(٣) سورة القارعة: ٦ـ١١

(٤) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٥) سورة المؤمنون. ١٠٢ـ١٠٤.

وهذا الذى حدثتك عـنه، فوالله إنه لحق ﴿فاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ...﴾[1] فـإياك وأن يعتـريك فى ذلك شك ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[2] واعلم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[3].

ويقول ﷺ: **«مـثل أمتـى مثل المطر، لا يـدرى أوله خيـر أم آخره»**[4].

أى كمـا أن لكل نوبة من نوبات المطر فـائدتها فى النـماء، كذلك كل جيل من أجيال الأمة له خاصية توجب خيريته.

وقـد قـال ﷺ: **«إنكم سـتـفـتحـون من بعـدى روميـة والقسطنطينية.. وفى الحديث: عـن أبى قبـيـل قـال: كنا عنـد «عبد الله بـن عمرو بن العاص» وسـئل: أى المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينيـة أو رومية؟ فـدعا عبـد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كـتابًا، فقال عبد الله: بينمـا نحن حول رسول الله ﷺ**

---

(١) سورة غافر: ٥٥، الروم: ٦٠.

(٢) سورة الواقعة: ٨١، ٨٢.

(٣) سورة لقمان: ٣٠.

(٤) رواه أحمد والترمذى والطبرانى، بإسناد حسن.

نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أى المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ مدينة هرقل تفتح أولاً، يعنى القسطنطينية»[1] ورومية هى «روما» عاصمة إيطاليا، وهكذا كانت تلفظ كما فى معجم البلدان، وقد فتحت الأولى، وبقيت الثانية، ولن يتخلف ما بشر به الصادق المصدوق ﷺ.

* * *

(١) رواه أحمد والدرامى وابن أبى شيبة والحاكم وصححه.

لكن.. لمن هذه البشارات؟

* هل هى لمن لم يعرف من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه؟

* أو أعرض عن هدى الله، وترك شرع الله، ونَحَّى منهجه، واتبع الجاهليات؟

* وهل هى لخلف «أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات» وجروا وراء الشبهات؟

* وهل تحدث هذه البشارات لمن تفرقوا شذر مزر، وتحكمت فيهم العصبيات؟

* وهل تكون لمن والى أعداء الله، وعادى أولياء الله مرات ومرات؟

* وهل تكون لمن عقد العزم على محاربة الدين، والقضاء على المسلمين، وهو يزعم أنه كأمير المؤمنين؟

* أو تكون لمن اتصفوا بصفات المنافقين، وفعلوا أفعال الكافرين، وتشبهوا بالمجرمين؟ وصاروا مرابين، ووقعوا فى الضلال المبين، وتركوا الحق المبين، وتبعوا الظن والتخمين؟

* وهل تكون لهؤلاء أو لمن اتصفوا بصفاتهم، أو نحوا نحوهم؟ كلا ورب الكعبة. إن هذه البشارات لمن اتصفوا بالصفات التي ذكرها رب الأرض والسموات، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] ومن صفات جند الله المؤمنين، المحافظة على أحكام الدين، وعلى رأسها الصلاة، إذ يحافظون على الجماعة حتى أثناء المعارك ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى

(1) سورة التوبة: ١١١، ١١٢.

مَن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (١٠٣) وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1].

ومن صفات جنود الله ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2].

ومن صفاتهم ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ

---

(١) سورة النساء: ١٠٢-١٠٤.　　(٢) سورة الفتح: ٢٩.

الرَّاشِدُون ﴿٧﴾ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

وجنود الله يوالون أهل الإيمان ويحبونهم، ويعادون أهل الكفر ويكرهونهم فهم كما قال الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا

---

(١) سورة الحجرات: ٧،٨. (٢) سورة المائدة: ٥٤-٥٧.

لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴿١١٩﴾ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط ﴾[1].

وهم كما قال الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴿١٠٠﴾ وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴿١٠١﴾ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴿١٠٢﴾ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾[2].

وهم يعلمون قول الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴿١٤٩﴾ بل الله

---

(١) سورة آل عمران: ١١٨-١٢٠. (٢) سورة آل عمران: ١٠٠-١٠٣.

مولاكم وهو خير الناصرين ﴾[1].

وهم ينفذون قول الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾[2].

وكما قال سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾[3] فلابد من مفاصلة كاملة وبراءة تامة ﴿ قل يا أيها الكافرون (1) لا أعبد ما تعبدون (2) ولا أنتم عابدون ما أعبد (3) ولا أنا عابد ما عبدتم (4) ولا أنتم عابدون ما أعبد (5) لكم دينكم ولي دين ﴾[4] وهذا وآيات الولاء للمؤمنين، والبراءة من الكافرين كثيرة فى القرآن المبين، وجنود الله تعالى الذين يحقق الله لهم النصر والغلبة لابد وأن يحققوا هذه

---

(1) سورة آل عمران: ١٤٩: ١٥٠.　　(2) سورة المائدة: ٥١.

(3) سورة الممتحنة: ١.　　(4) سورة الكافرون.

الصفة، حتى يصبحوا بحق «أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين» وكذلك «أشداء على الكفار رحماء بينهم».

وجنود الله تعالى، كما وصفهم سبحانه وتعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (٢٣) ليجزي الله الصادقين بصدقهم..﴾[1].

وهم الرجال الذين قال الله عنهم ﴿... لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾[2].

وهم الرجال الذين عناهم بقوله ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال (٣٦) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار (٣٧) ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب: ٢٣، ٢٤. (٢) سورة التوبة: ١٠٨.

(٣) سورة النور: ٣٦ـ٣٨.

وهم الذين قال الله عنهم: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[1].

وهم أصحاب التجارة الرابحة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

ووصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ(*) كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

وهم الذين قال الله عنهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ

---

(١) سورة الحج: ٤١.	(٢) سورة الصف: ١٠، ١١.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٦-١٤٨.	(*) ربيون: أتباع.

الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[1].

ومن صفات جند الله أنهم أمة واحدة، يقاتلون عدوهم صفا واحدا، ويضربونهم ضربة رجل واحد ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[2].

وجنود الله تعالى أخذوا بالأسباب، واعتمدوا على رب الأسباب، فهم لا يدخلون حربهم مع عدوهم من فراغ، ولم يأخذوا منهم السلاح ليقاتلوهم به، بل تراهم أعدوا العدة، واستعدوا بكل ما يملكون من أسباب مادية وأخرى معنوية.

فهم امتثلوا قول الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾[3].

وعملوا بقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ

---

(١) سورة النساء: ٧٦. (٢) سورة الصف: ٤.

(٣) سورة الأنفال: ٦٠.

وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(١).

ويقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ... ﴾(٢).

لقد فهموا عن الله تعالى واستغلوا الحديد فى صنع سلاحهم لقتال أعدائهم ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(٣).

ومن العدة التى أعدها جند الله ما أمر الله به من الإنفاق فى سبيل الله والتصدق ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٤) وكذا قال: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ

---

(١) سورة الأنفال: ٤٥-٤٧.
(٢) سورة محمد: ٤.
(٣) سورة الحديد: ٢٥.
(٤) سورة البقرة: ١٩٥.

وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[١].

ومن العدة على القتال «الصبر» كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾[٢] وأيضًا ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ..﴾[٣] ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[٤] ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٥].

ومن العدة «طاعة الله تعالى قدر الاستطاعة» ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٦].

ومنه ذكر الله تعالى، وقيام الليل ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾[٧] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ

---

(١) سورة الحديد: ١٠، ١١.
(٢) سورة المعارج: ٥.
(٣) سورة الطور: ٤٨.
(٤) سورة الأحقاف: ٣٥.
(٥) سورة الأنفال: ٤٦.
(٦) سورة التغابن: ١٦.
(٧) سورة الانسان: ٢٤ـ٢٦.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1].

وكما قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (2) نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[2].

ومع كل هذه الألوان من الطاعات، يجب عند ملاقاة الكفار أن تكون هناك شدة وغلظة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[3] فالإعداد يكون بقوة الإيمان، وإعداد الرجال، وإعداد السلاح، وتوحيد الصف. هذا. فضلاً عما تخلق به جند الإسلام من أخلاق القرآن، في مثل ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (17) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن

(1) سورة الذاريات: 15ـ18.

(2) سورة المزمل: 1ـ4.

(3) سورة التحريم: 9.

صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[1].

إنهم أصحاب سورة البقرة، وفيها ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[2].

وهم الذين اتصفوا بما قاله الله ﴿ .. إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[3].

---

(١) سورة لقمان: ١٧-١٩.
(٢) سورة البقرة: ١٧٧.
(٣) سورة الرعد: ١٩-٢٢.

إنهم الغــربـاء الذين بشـرهـم النبي ﷺ، ووصـفـهـم لنا وجلاهم، فقال «**إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغـرباء. قيل: ومن الغـرباء يا رسول الله؟ فـقال: الذين يصلحـون إذا فـسـد الناس.** وفى رواية: «**الذين يصلحـون مـا أفسـد الناس**». وفى رواية: «**الذين يحـيون سنـتى عند فسـاد أمتى**». وفى رواية: «**النزائح من القبائـل، أو النزاع من القبائل**». وفى رواية: «**أناس صـالحون يسـير بـين أناس سوء كـثيـر، من يعصيهم أكـثر ممن يطيعهم**». وفى رواية: «**هم الفـرارون بدينهم يجمعهم الله إلى عيسى ابن مريم**»[١].

* * *

---

(١) رواه مسلم، وراجع شرح الحديث فى كتاب «تصحيح المفاهيم».

ثانيًا: انذارات الكافرين

وكمـا حمل لنا القرآن الكريم البـشارات للمـؤمنين بالنصر والتمكين، فـها هو يحمـلها لنا مرة أخـرى فى صورة إنذارات للكافرين، حكم الله فيها حكمًـا قاطعًا بهزيمة الكافرين، ودمار الظالمين، واندحـار الكفـر، وزوال الشـرك، وإزهاق البـاطل، وبطلان أعمال الـكافرين، وفضح مكرهم، وجعل ذلك سـببًا فى هلاكهم، ففى تدبيرهم تدمـيرهم، وذلك جزاءً وفاقا ولكن قد يدور بخلد القـارئ إذا سمع هذه الوعود اليقـينية، ثم نظر نظرة إلى الواقع الأليم الذى يعـيشه المسلمـون فى ظل الهزائم المتوالية، فإنه يتساءل! وكيف هذا؟

والإجابة على ذلك من ناحيتين: أولاهما: عدم تحقق الإيمان الذى ارتبط به نصر المؤمنين، على نحو ما وضحت لك.

وثانيـهمـا: أن ما تراه من هزائم لـلمسلمين هو ابتـلاء من ناحية، كمـا قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ** ﴾[1].

---

(١) سورة محمد: ٤.

ووقوع ما تراه هزيمة فى الظاهر مرتبط بأسبابه، كما قال تعالى فى هزيمة أحد ﴿ **أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[1] وهذا الذى نسميه «هزيمة» سماه الله تعالى «أذى» فقال معبرًا عن هذا المعنى: ﴿ **لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ** ﴾[2].

* * *

(١) سورة آل عمران: ١٦٥.   (٢) سورة آل عمران: ١١١.

١ ـ هزيمة الكفر والكافرين

وعد الله تعالى بهزيمة الكافرين، وحكم عليهم بأنهم سيُغْلَبُون فى أكثر من آية فى كتابه فقال عز من قائل: ﴿قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[1] كما أشار الله إلى مكرهم وكيدهم، ومؤامرتهم، فلخصها لنا فى جملة واحدة، ثم بين عاقبة ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2].

والذى يريد أن يفهم هذه الآية، ويعرف بعض مدلولاتها وحقائقها، لابد وأن يكون على دراية بما تبذله الجهود الصليبية والصهيونية من جهد ووقت، فى إقامة المؤتمرات وتدبير المؤامرات، وكذلك ما يبذل من أموال فى سبيل تنصير المسلمين، وتقتيل المؤمنين، والصد عن سبيل رب العالمين، ثم ماذا تكون النتيجة ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ

(١) سورة آل عمران: ١٢. (٢) سورة الأنفال: ٣٦، ٣٧.

﴿ يُغْلَبُونَ ﴾ هذا فى الدنيا وأما فى الآخرة ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾.

وإذا قال الله ﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ فلا تسل كيف يكون ذلك، لأنه ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾[1] ومن بين هؤلاء الجنود «الرعب» كما قال تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾[2].

وكذلك «الزلة التى توجب الهزيمة» كما قال سبحانه ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[3].

وكذلك قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴾[4].

---

(١) سورة المدثر: ٣١.
(٢) سورة آل عمران: ١٥١.
(٣) سورة آل عمران: ١١٢.
(٤) سورة المجادلة: ٢٠.

ومن جنود الله «الكبت» قال سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ..﴾[1].

ومن أسلحة الله «البأس» الذى يعمل بطريقتين ﴿.. وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[2] وفى ذات الوقت ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾[3] فالله تعالى يرد بأسهم، ويجعل كيدهم فى نحورهم، وهو سبحانه ـ فى نفس الوقت ـ لا يرد بأسه عنهم، الله أكبر.

ومن أسلحة الله «العمى» ﴿.. وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[4] وكذلك ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[5].

ومن وعد الله تعالى فى هذا الأمر ما أخبر عنه سبحانه بقوله ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[6] وكما تحقق ذلك فى «غزوة بدر» نصرًا للمؤمنين الأوائل وهزيمة للمشركين، فهو سنة قائمة فى كل

---

(١) سورة المجادلة: ٥.
(٢) سورة يوسف: ١١٠.
(٣) سورة النساء: ٨٤.
(٤) سورة الأعراف: ١٩٨.
(٥) سورة يس: ٩.
(٦) سورة القمر: ٤٤، ٤٥.

جيل وقبـيل، حتى يحققه الله تعالى للطائفـة المنصورة فى آخر الزمان، بالنسبة للمؤمنين: ويكون هزيمة كـبرى للكافرين، كما قال سبحانه: ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾(١).

فإذا قلت: وكيـف ذلك مع ما فيه أهل الكفـر من حضارة وقوة ومنعة وغير ذلك؟ أجابك القرآن ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾(٢) وكذلك ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ ﴾(٣) وأيضًا: ﴿ .. إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ ﴾(٤).

وهذه الهزائم، وذلك الانـتقام، إنما هو جـزاء عادل نتيـجة الإجرام الذى ارتكبه الكفار فقابله هذا الجزاء ﴿ .. فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٥) وكذلك ﴿ يَوْمَ

---

(١) سورة الأنفال: ٧، ٨.
(٢) سورة آل عمران: ١٩٦، ١٩٧.
(٣) سورة غافر: ٤.
(٤) سورة الملك: ٢٠.
(٥) سورة الروم: ٤٧.

﴿ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[1] وكم بطشوا بعباد الله المؤمنين ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[2] فكان من عدل الله أن يبطش بهم، انتقامًا لأوليائه، وما أدراك ما بطش الله وانتقامه؟ ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾[3] ويضرب الله لهم المثل فى ذلك بقوله ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الأَوَّلِينَ ﴾[4] ولما كان الكفار أعداء الله وأعداء أنبيائه ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ .. ﴾[5] ناسب عدل الله تعالى عدم مساواتهم بالمسلمين ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴾[6].

* * *

---

(١) سورة الدخان: ١٦.
(٢) سورة البروج: ٨.
(٣) سورة البروج: ١٢.
(٤) سورة الزخرف: ٨.
(٥) سورة الفرقان: ٣١.
(٦) سورة القلم: ٣٥ـ٣٨.

٢ ـ نهاية الظلم والظالمين

كمـا حكم الله بهزيمة الـكفر والكافريـن، بين عاقبـة الظلم والظالمين، فى عـشـرات من الآيـات،ومن ذلك أن الله تعـالى يسلط بعضهم على بعض، ما لم يستطع أهل الإيمان محاربتهم أو هزيمتهم، جـعل بأسهم بينهم، كـما قـال تعالى ﴿ **وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[1] وحكم عليهم بالضلال ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴾[2] وللعلم أن الظلم هنا من جنس الكفر، كمـا قال تعالى ﴿ .. **وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[3] فكل كافر ظالم، وليس كل ظالم كافرًا، على نحو ما هو مقرر ومعروف، فانتبه لذلك.

وقال تعالى: ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُون إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي**

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٩. (٢) سورة النساء: ١٦٧ـ١٦٩.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٤.

رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[2].

---

(١) سورة إبراهيم: ٤٢-٥٢. (٢) سورة إبراهيم: ١٣، ١٤.

ولذلك ﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون ﴾[1] فتدبر ﴿ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾[2] ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾[3] .

والعاقل من يتأمل ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾[4] .

كما قال تعالى: ﴿ وقد خاب من حمل ظلما ﴾[5] .

وجزاؤه ﴿ قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا ﴾[6] .

وقد قص علينا القرآن الكريم خبر عشرات القرى التي أهلكها الله بسبب ظلمها، والجزاء من جنس العمل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين ﴾[7] ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين ﴾[8]

---

(١) سورة النمل: ٥٢.
(٢) سورة القصص: ٤٠.
(٣) سورة الأنعام: ٤٥.
(٤) سورة الشعراء: ٢٢٧.
(٥) سورة طه: ١١١.
(٦) سورة الكهف: ٨٧.
(٧) سورة الأنبياء: ١١.
(٨) سورة القصص: ٥٨.

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(١) ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾(٢) ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾(٣).

ولذلك ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾(٤) حتى تصبح كما قال الله ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾(٥) بل إن هذا الهلاك لم يقع على مستوى القرى فى زمن من الأزمان، منحصرًا فى مكان من الأماكن، كلا، ولكن ذلك على مستوى المكان - كما أسلفنا - وكما قال تعالى ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾(٦) وعلى مستوى الزمان أيضًا كما قال تعالى ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾(٧) ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن

---

(١) سورة الأحقاف: ٢٧.
(٢) سورة الكهف: ٥٩.
(٣) سورة هود: ١٠٢.
(٤) سورة الإسراء: ١٦.
(٥) سورة الحج: ٤٥.
(٦) سورة الإسراء: ٥٨.
(٧) سورة ق: ٣٦.

قرْن هلْ تُحسُّ منْهُم مّنْ أحَد أوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾[1] ﴿ أَفَلَمْ يَهْد لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مّنَ الْقُرُون يَمْشُونَ في مَسَاكنهمْ إنَّ في ذلك لآيات لأُوْلي النُّهَىٰ ﴾[2] ﴿ أَوَ لَمْ يَهْد لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا من قبلهم مّنَ الْقُرُون يَمْشُونَ في مَسَاكنهمْ إنَّ في ذَلكَ لآيَات أَفَلا يَسْمَعُونَ ﴾[3] ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا من قَبْلهم مّن قَرْن مَّكَّنَّاهُمْ في الأَرْض مَا لَمْ نُمَكّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهم مّدْرَارًا وجعلْنا الأَنْهَارَ تَجْري من تَحْتهمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بذُنُوبهمْ وَأَنشَأْنَا منْ بَعْدهمْ قَرْنًا آخَرينَ ﴾[4].

فهذه آيات واضحات، ومع ذلك فهناك كفر وإعراض ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ممَّن ذُكّرَ بآيَات رَبّه فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبهمْ أَكنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفي آذَانهمْ وَقْرًا وَإن تَدْعُهُمْ إلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إذًا أَبَدًا ﴾[5].

وكما قال: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ممَّن ذُكّرَ بآيَات رَبّه ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إنَّا منَ الْمُجْرمينَ مُنتَقمُونَ ﴾[6] ولقد ضرب الله عز وجل لنا

---

(١) سورة مريم: ٩٨. (٢) سورة طه: ١٢٨.
(٣) سورة السجدة: ٢٦. (٤) سورة الأنعام: ٦.
(٤) سورة الكهف: ٥٧. (٦) سورة السجدة: ٢٢.

أمثلة من السابقين لتكون لنا عظات وعبر فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

ومن هؤلاء: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾[2] وكذلك ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام: ٤٣ـ٤٥.　(٢) سورة الفرقان: ٣٧ـ٣٩.

(٣) سورة الفجر: ٦ـ١٤.

وكما فصل القول عنهم ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴾[1].

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[2].

وأما فرعون فكما قال الله ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[3] وقال ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾[4].

---

(١) سورة الحاقة: ٤ـ٨.

(٢) سورة فصلت: ١٥ـ١٨.

(٣) سورة القمر: ٤١، ٤٢.

(٤) سورة النازعات: ٢٥، ٢٦.

وقد بين ربنا تعالى ألوانًا من عذابهم ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1].

ومن هؤلاء الظلمة «بنو إسرائيل» ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

ومنهم «أصحاب الفيل» ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[3].

---

(١) سورة العنكبوت: ٣٨ـ٤٠. (٢) سورة الأعراف: ١٦٧.

(٣) سورة الفيل.

ومنهم «كفار قريش» ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾[1].

ومثال ذلك «أبو جهل» ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[2] أي المقطوع.

و«أبو لهب» ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[3].

«والوليد بن المغيرة» ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[4].

---

(١) سورة البروج: ١٩، ٢٠.
(٢) سورة الكوثر: ٣.
(٣) سورة المسد.
(٤) سورة الهمزة.

٣ ـ عاقبة مكر الماكرين:

ونعنى به قول الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[2].

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾[3].

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[4].

عجيب أمر هذا الإنسان الذى يمكر بعباد الله، ويكذب بآيات الله ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[5]. ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾[6] أما علم بأنه سبحانه ﴿.. إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾[7].

---

(١) سورة آل عمران: ٥٤.
(٢) سورة النمل: ٥٠، ٥١.
(٣) سورة إبراهيم: ٤٦، ٤٧.
(٤) سورة الرعد: ٤٢.
(٥) سورة عبس: ١٧.
(٦) سورة العلق: ١٤.
(٧) سورة الأعلى: ٧.

فما أغرك أيها الإنسان؟ ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[1]؟

أهو إمهال الله؟ ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً (58) وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾[2].

أم تحسب أن الله لا يقـدر عليك؟ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (4) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (5) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا (6) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (7) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[3].

أم تحسب أنك ستـفـر من ربك؟ ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[4]؟ ﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (10) كَلاَّ لا وَزَرَ (11) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾[5].

---

(1) سورة الانفطار: ٦.
(2) سورة الكهف: ٥٨، ٥٩.
(3) سورة البلد: ٤-١٠.
(4) سورة التكوير: ٢٦.
(5) سورة القيامة: ١٠-١٢.

أم أن الله يخشى مغبة عقوبتك؟ ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾[(١)].

أم أنك أمنت مكر الله؟ ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[(٢)].

أم تحسب أنك تترك سدى؟ ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[(٣)].

* والكيد من جنس المكر، وقد بين الله جزاءه، بقوله: ﴿ يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[(٤)] وما كيدهم بالنسبة لكيد الله تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾[(٥)] وأما كيدهم بالنسبة للمؤمنين، فكما قال الله ﴿ .. وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[(٦)].

---

(١) سورة الشمس: ١٤، ١٥.
(٢) سورة الأعراف: ٩٩.
(٣) سورة القيامة: ٣٦.
(٤) سورة الطور: ٤٦.
(٥) سورة القلم: ٤٤، ٤٥.
(٦) سورة آل عمران: ١٢٠.

وفى النهاية ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[1].

فهل تحقق عدل الله، و﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[2] نعم.

* * *

(١) سورة الطارق: ١٥-١٧. (٢) سورة المطففين: ٣٦.

٤ ـ عاقبة أعمال الكافرين:

أعمال الكافرين بناء على غير أساس، وعبادة من غير توحيد، أو طاعة مع الشرك، فالأمر كما قال الله ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

ولذلك إذا انهار بنيان فإنه يصير كالرماد ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾[2].

أو كما قال الله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة: ١٠٩.
(٢) سورة إبراهيم: ١٨.
(٣) سورة النور: ٣٩، ٤٠.

ولذلك فنهاية أمرهم ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[1].

ومهما عمل الكافرون أو ازدادوا في عبادتهم، فإنها زيادة كفر ونصب ﴿.. وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾[2].

عمل ونصب، ثم هو كما قال الله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾[3].

والجزاء من جنس العمل ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[4].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[5].

---

(١) سورة الفرقان: ٢٣.

(٢) سورة فاطر: ٣٩.

(٣) سورة الغاشية: ٢ـ٧.

(٤) سورة محمد: ١.

(٥) سورة محمد: ٨، ٩.

﴿ذلكَ بأنَّهمُ اتَّبعُوا ما أَسْخَطَ اللَّهَ وكَرِهُوا رِضْوانَهُ فأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ﴾(١).

﴿إنَّ الَّذينَ كفَرُوا وصَدُّوا عَن سَبيلِ اللَّه وَشَاقُّوا الرَّسُولَ منْ بَعْد مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللَّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إنَّ الَّذينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبيلِ اللَّه ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾(٢).

﴿تَرَى الظَّالمينَ مُشْفقينَ ممَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقعٌ بهمْ..﴾(٣).

لقد حكم الله بإزهاق روح الباطل حتى يقضيَ عليه، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطلُ إنَّ الْبَاطلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(٤) وكذلك ﴿بَلْ نَقْذفُ بالْحَقِّ عَلَى الْبَاطل فَيَدْمَغُهُ فَإذَا هُوَ زَاهقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ ممَّا تَصفُونَ﴾(٥) وكما قال الله: ﴿.. كَذَلكَ يَضْربُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ في الأَرْض كَذَلكَ يَضْربُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾(٦).

---

(١) سورة محمد: ٢٨.

(٢) سورة محمد: ٣٢-٣٤.

(٣) سورة الشورى: ٢٢.

(٤) سورة الإسراء: ٨١.

(٥) سورة الأنبياء: ١٨.

(٦) سورة الرعد: ١٧.

وحكم الله تعالى بعدم فلاحهم ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(1).

وعدم صلاح أعمالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾(3).

حتى ولو أمهلهم الله ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾(4).

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (22) إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ﴾(5).

---

(1) سورة القصص: 37.
(2) سورة يونس: 81.
(3) سورة الكهف: 103-106.
(4) سورة مريم: 75.
(5) سورة الغاشية: 21-24.

٥ ـ إنذارات أخرى:

لقد ذكر الله تعالى تهديدات للكفرة والظالمين في القرآن الكريم: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾(١).

كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾(٢).

ولقد توعدهم الله بالضنك في الدنيا والشقاء في الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾(٣).

وكذلك قال الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾(٤).

---

(١) سورة النبأ: ٤، ٥.

(٢) سورة المرسلات: ١٦ـ١٨.

(٣) سورة طه: ١٢٤ـ١٢٧.

(٤) سورة البينة: ٦.

كما وصفهم بقوله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[2].

وقال جل وعلا: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ۝ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۝ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ۝ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾[3].

وكما توعد الله تعالى الكافرين بذلك، فإنه توعد المنافقين، لأنهم من جنسهم، بل هم شر منهم، لذلك كانوا فى أسفل طبقات جهنم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[4].

ولذلك توعدهم بقوله ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

---

(١) سورة الفلق: ١، ٢.
(٢) سورة الأعلى: ١٠ـ١٣.
(٣) سورة المؤمنون: ٦٤ـ٦٧.
(٤) سورة النساء: ١٤٤.

(١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ.. ﴾[١].

وهذا الجزاء من جنس العمل، وقد قال ربنا: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ.. ﴾[٢].

وقال: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾[٣].

وبين ذلك بقوله: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٤].

وهذا مع الحرمان فى الدنيا ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ.. ﴾[٥].

وقد ضرب الله عز وجل لنا الأمثال، بقصة صاحب الجنتين

---

(١) سورة النساء: ١٣٨، ١٣٩.
(٢) سورة النساء: ١٤٢.
(٣) سورة سبأ: ١٧.
(٤) سورة الكهف: ٤٩.
(٥) سورة الأنفال: ٥٣.

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾[1] وبقصة أصحاب الجنة

(١) سورة الكهف: ٣٢ـ٤٤.

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[١] وبقصة اهل سبا: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ

(١) سورة القلم: ١٧ـ٣٦.

قليل ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وبقوله سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[2].

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة سبأ: ١٥-٢٠. (٢) سورة النحل: ١١٢.

(٣) سورة الأعراف: ٩٦.

بشارة للمؤمنين من نوع آخر «صفات من نقاتلهم».

إن الله عز وجل بين لنا صفات من نقاتل من أعداء الله، وجلاهم لنا، حتى إنه أوضح لنا خبایاهم ومكنونات أنفسهم، وأخص خصائصهم النفسية.

فهم - أولاً - يعتمدون على غير الله، فيكلهم الله تعالى إليه، فتكون النتيجة عكسية بالنسبة لهم، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾(١).

وكذا قال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾(٢).

ولو لم يجدوا عونا من الناس، ومعاذا عندهم، لجأوا إلى عالم الجن: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾(٣).

فهم يعتمدون على أوليائهم ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾(٤)

---

(١) سورة يس: ٧٤، ٧٥.
(٢) سورة مريم: ٨١، ٨٢.
(٣) سورة الجن: ٦.
(٤) سورة الناس: ٦.

فيزدادون رهقـا، وذلا، وهزيمة، ومع ذلك فهم مسـتمرون فى شـركهم وطغـيانهم، يعـاندون منهج الله تعـالى، ويخالفـون أحكامه، ويريدون القـضاء على دينه ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾[1].

ومن صفاتهم: ثانيا: التكذيب، كمـا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾[2].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾[3].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[4].

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ① فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ② وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[5].

---

(١) سورة العاديات: ٦، ٧.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٨.

(٣) سورة الزمر: ٣٢.

(٤) سورة الصف: ٧.

(٥) سورة الماعون: ١ـ٣.

وتكذيب القوم مبنى على علم لا عن جهل، لذلك غضب الله عليهم، ومثال ذلك ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾[2] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[3].

ثالثا: الغدر ونقض العهد، والحنث.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾[4].

وذلك على الدوام ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[5].

---

(١) سورة الجمعة: ٥.
(٢) سورة الزمر: ٦٠.
(٣) سورة محمد: ٣٢.
(٤) سورة الأنفال: ٥٦.
(٥) سورة البقرة: ١٠٠.

ولذلك استحثنا الله على قتالهم ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

ومن غدرهم ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

وكذلك ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾(٣).

رابعا: الحرص على الحياة مع الجبن:

قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة التوبة: ١٣.
(٢) سورة المنافقون: ٧، ٨.
(٣) سورة الكهف: ٢٠
(٤) سورة البقرة: ٩٦.

وقال تعالى: ﴿ولَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ..﴾[1].

كما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[2].

وقال تعالى فى وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[3].

وقال فى شأنهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ (12) لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا

---

(١) سورة النساء: ٦٦.   (٢) سورة النساء: ٧٦.

(٣) سورة المنافقون: ٤.

يفقهون ⑬ لا يقاتلونكم جميعًا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾(1).

بشارات من السنة:

قال ﷺ «**تقوم الساعة والروم أكثر الناس**» رواه مسلم.

وفى الحديث «**ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر - الروم - فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية - راية - تحت كل غاية اثنا عشر ألفا**» رواه البخارى.

ونحن الآن نعيش عصر الهدنة - مع الروم - ولكن سوف تغدر الروم علينا، وستكون ملحمة عظيمة تنتهى بنصر الله للمسلمين تحت قيادة المهدى «**إنكم ستفتحون من بعدى رومية والقسطنطينية**» فتحت القسطنطينية على يد محمد الفاتح الخليفة العثمانى عام ١٤٥٣. ولكنها ستفتح مرة أخرى لأنها صارت علمانية، وستعود إسلامية بإذن الله عندما يفتحها المهدى، بعد انتصاره على جيش الغرب الذى يأتى لغزو بلاد المسلمين، وينتصر عليهم، ثم يتوجه إلى فتح القسطنطينية ورومية.

---

(1) سورة الحشر: ١١-١٤.

وفتح القسطنطينية الذى يجىء فى آخر الزمان يختلف عن فتحها على يد الترك، فالترك فتحوها بالقتال، إن الفتح الذى بشر به النبى ﷺ يكون بغير قتال، فهو فتح بالتكبير والتهليل، ففى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«سمعتم بمدينة جانب منها فى البر وجانب منها فى البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله؛ قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بنى إسحاق. فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شىء ويرجعون»** رواه مسلم.

وحديث البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله: هذا يهودى**

خلفى فتعال اقتله. إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود».

إنها بشرى عظيمة يفرح لها المسلمون ويخزى بها الله أعداءه، حتى الشجر والحجر يلفظ اليهودى من خلفه. سبحان الله، كل الشجر والحجر ترشد عن اليهود تريد قتلهم، إلا شجر الغرقد وهو من شجر اليهود كما سماه النبى ﷺ، والعجيب أن اليهود قد زرعوا هذا الشجر الآن فى فلسطين المحتلة، لأنهم يتوقعون ذلك ويرصدون له، ولعله مكتوب عندهم فى التوراة التى زيفوها لصالح أفكارهم الشيطانية.

فهم يدركون أن الحرب بينهم وبين المسلمين قادمة، لكنهم يظنون أنهم سوف ينتصرون فيها. ولكن هيهات أن يحدث ذلك بعدما أخبر الصادق المصدوق ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى أنه سوف ينتهى أمرهم وتقتلع جذورهم، ويقتل مسيخهم الدجال، وبذلك يعود السلام والأمن إلى الأرض وإلى العالم حتى يؤمن الذئب على الغنم.

ومن الحروب التى بين يدى الساعة (أيام المهدى) حرب الترك وهم العجم غير العرب، وقد أشار الحديث النبوى إلى

ذلك «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، حمر الوجوه، زلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة**».

تلك البشارة تدل على غزو جيش المهدى الذى يرسله لفتح بلاد آسيا ـ بإذن الله ـ وتستمر الحروب التى يخوضها المهدى مع الكتلة الشرقية تسع سنوات هى الفترة التى يهادن فيها أهل الغرب.

روى البخارى فى صحيحه أن النبى ﷺ قال: «**يكون بين المسلمين وبين الروم صلح حتى يقاتلوا معهم عدوهم فيقاسمون غنائمهم ثم إن الروم يغزون مع المسلمين فارس فيقتلون مقاتلتهم ويسبون ذراريهم**».

وبعد ذلك الصلح الذى يكون بين المسلمين والروم ـ الغرب ـ يكون الغدر من الغرب بالمسلمين كعادتهم فتدور رحى الحرب بين المسلمين بقيادة المهدى، وبين الغرب مجتمعين، وتلك المعارك تنتهى بنصر الله للمسلمين.

روى أحمد وأبو داود عن النبى ﷺ أنه قال: «**ستصالحون الروم صلحا آمنا فتغدون أنتم وهم من ورائكم منتصرين وتفتحون وتسلمون ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذى تلول، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين فيقتله، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة**».

وفى الحديث الآخر: «**ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفا**» وقد أشار النبى ﷺ لتحديد مكان الملحمة بأنها ستكون فى الشام، وفى فلسطين، فقال فى الحديث الذى رواه مسلم «**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة (أى دمشق) من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا. قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا فنقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا، فتقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبدا**».

وسبب المعركة بالنسبة للنصارى مرتبط بالعقيدة ونصرة الصليب، وأهل الإسلام ينتصرون لعقيدة التوحيد. كما أشار إليه الحديث آنفا، فيمن يرفع الصليب. ويقول: غلب الصليب!

وأهل الكتاب يؤمنون بتلك المعركة ويعدون لها، ويسمونها بمعركة «هرمجدون» كما جاء فى سفر الرؤيا، وهرمجدون. - كما هو معروف - تل بفلسطين، وبداية المعارك بدابق، كما أشار الحديث الشريف. وتستمر المعارك بين الجيشين طويلا، ويسقط الآلاف من القتلى من الجانبين، ومن كثرة ما يستعر بهم من القتل لا يمر طير من فوقهم إلا ويخر ميتا، ولعلها إشارة لما يستخدم من أسلحة متطورة ونووية وكيماوية، برا وبحرا وجوا، وهى المعركة التى لشدة هولها لا يفرحون بغنيمة، ولا يقسمون ميراثا، إذ يذهب المائة من ذوى القرابة فلا يعود منهم إلا الواحد، وتنتهى الفتنة بنصر الفئة المؤمنة، وهزيمة منكرة لأهل الشرك وعباد الصليب.

وهناك من يدخل من أهل الروم فى الإسلام، وهم من الكثرة بمكان، ينضمون إلى معسكر المسلمين، ويدخلون تحت

لواء المهدى، وهم الذين يفتحون القسطنطينية، كما ذكر الحديث «**لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بنى إسحاق**.. الحديث».

والجيش الذى يحسم المعركة هو المدد الذى يأتى من المشرق لنصرة المسلمين وهم جيش الموالى وهم مسلمون من غير العرب والمشرق هم أهل باكستان وأفغانستان وأندونيسيا وغيرهم من مسلمى آسيا، ينصر الله بهم الإسلام، كما روى مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا وقعت الملاحم بعث الله بعثا من الموالى هم أكرم العرب فرسًا وأجودهم سلاحًا، يؤيد الله بهم الدين**».

وقال ﷺ - فيما رواه مسلم - عن نافع بن عيينة «**تغزون جزيرة البحر فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله**».

وقال ﷺ - فيما رواه أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقى - «**بشر هذه الأمة بالسناء والدين، والرفعة والنصر، والتمكين فى الأرض**».

وقال ﷺ «**ليدركن المسيح أقوامًا إنهم لمثلكم أو خير ـ ثلاثا ـ ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها**» وقد رواه ابن أبى شيبه فى مصنفه.

* * *



الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد

فهأنذا قمت - بفضل الله تعالى - بجمع آيات البشارة للمؤمنين، والنذارة للكافرين، فيما يرتبط بقضية «النصر والهزيمة» لتكون دليل صدق وقولة حق فى نصرة الإسلام، ومستقبل هذا الدين، مهما أدلهم الخطب، واشتد الكرب.

ولما رأيت اليأس قد تملك قلوب أناس من المسلمين، وظنوا أنه لا أمل فى النصر أو التمكين، فقمت أخط بقلمى هذه الأسطر - بعدما صدعت بها بفضل الله بلسانى، من فوق المنابر - لأبين للقاصى والدانى أنه مهما طال الليل، فلابد من طلوع الفجر، وأن أشد ساعات الليل سوادا تلك التى ينبثق منها نور الفجر، وأنه كلما اشتدت هانت، وكما فى الحديث **«اعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرًا»** وإذا كنت هنا قد اكتفيت بأدلة القرآن، واستأنست ببعض

البشارات النبوية في بعض الأحيان، فإن هذا ليس معناه انحصار الأدلة في ذلك، بل هناك أدلة كونية، ووقائع تاريخية، وشواهد عصرية تدل على أن المستقبل لهذا الدين، وأنه لابد من زوال دولة الكفر، وكما سمعنا - في وقتنا الحاضر - عن زوال امبراطورية ما يسمى «بالاتحاد السوفيتي» وهي تحكي أقصر أعمار الامبراطوريات، فيما دون السبعين سنة، فإنك ستسمع إن شاء الله - عن زوال دولة أمريكا، التي تعيث في الأرض فسادا، وتقول - بلسان الحال والمقال - كما قالت عاد «من أشد منا قوة»؟! وكذلك عن زوال دولة إسرائيل التي أفسدت في الأرض وعلت علوا كبيرا، فنحن ننتظر وعد الآخرة، وإن غداً لناظره قريب، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وكتبه

أبو حفص

عمر بن عبد العزيز

في موريتانيا في شهر جمادى الأولى ١٤١٦هـ / أكتوبر ١٩٩٥م

الفهرست

تابع الفهرست

تابع الفهرست

رقم الإيداع بدار الكتب
٥٢٢٢ / ٢٠٠١

إسلامية للطباعة
هاتف: ٣٩٢٥٨٥٧ - ٠١٠١٥٥٥٩٢٧ ٠١٠